دراسات تاريخية المجلد العاشر العدد الثاني السنة 1444هـ/2022م. ص ص 383-395

مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الزاوية البكرية وطرق مساهمة وقفها في تنمية المجتمع المحلي اقتصاديا واجتماعيا

The Contribution of El Zawya El Bekriya on the Social and Economic Development of the Local Community

د. محمد عبد الحق بكراوي
Mohammed abd alhak bekraoui
جامعة الافريقية العقيد أحمد دراية (أدرار- الجزائر)
البريد *bekraoui55@gmail.com*

د. محمد المهدي بكراوي
Mohammed el Mahdi bekraoui
جامعة الافريقية العقيد أحمد دراية (أدرار- الجزائر)
البريد *bekraoui007 @gmail.com*

الارسال: 2022/08/20 القبول : 28-09-2022 النشر:2022/10/03 المرسل: محمد المهدي بكراوي

الملخص:

ساهم الوقف على مر العصور والأقطار في بناء الحضارة الإسلامية، والمتأمل في تاريخ الأوقاف وما كانت تلعبه من أدوار في الحياة الاقتصادية للمجتمع، زيادة على دورها في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية؛ يجد أنها تشكل ثروة هائلة وموروثا حضاريا متجددا لا يمكن الاستهانة به . غير أن الوضعية التي آلت إليها الأوقاف في العصر الحاضر تدعو إلى ضرورة إحيائها والتفكير في كيفية الاستفادة منها في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وبطبيعة الحال لا يتأتى هذا الأمر إلا عن طريق الاهتمام به والعمل على استغلاله وتثمير أمواله وإخراجها من حالة الركود وحيز العمل التطوعي إلى آفاق تكون فيها أكثر نفعا وخدمة للصالح العام.

هذا وتعد الزاوية البكرية واحدة من بين الزوايا التي تأسست منذ نشأتها على الأوقاف التي أقيمت وأنشأت لتكون رافدا من روافد المجتمع التواتي دينيا وثقافيا واجتماعيا، وقد استمرت الزاوية البكرية في أداء دورها الاجتماعي في شتى مجالات الحياة بفضل عائدات أوقافها، ونظرا للدور الذي لعبه الوقف في تأسيسها وأداء أدوارها الاجتماعية، ارتأيت الوقوف عليها كنموذج للدراسة تحت العنوان المذكور.

الكلمات الدالة: زاوية سيدي البكري، وقف الزاوية، مساهمة الزاوية.

Abstract

Throughout the ages and centuries, El Waqf has contributed in the construction of the Islamic civilization. Anyone who studies the history of Awqaf realizes the significant role it plays in the economic, religious, cultural and social life of the community. It constitutes an enormous renewed cultural wealth that can not be underestimated.

However, the present situation of El Awqaf calls for the need to revive them and think about how to use them to support the economic and social development of the country. This can not be attained without giving them a great deal of intrest and work to exploit their money and take it out of recession and volunteer work to be more useful and can serve the public interest.

El Zawya El Bekriya is one of the zawaya that was established and based on El Awqaf. It plays an important role on the religious, cultural and social life of the community of Touat. Due to the main role played by El Waqf on the founding of El Zawya El Bekriya and its performance of various social roles, I have chosen it as a model for study in the present work

.Keywords. El Waqf , El Zawya El Bekriya.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد عرفت الأمة الإسلامية مشروع الوقف منذ عهدها الأول، فقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:02].

فالوقف هو أحد الموارد الاقتصادية التي تحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، بل هو في فلسفة الإسلام أحد وجوه العمل الصالح التي رغب فيها القرآن، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110].

وحث عليها سيدنا رسول الله - صل الله عليه وسلم - في أحاديث كثيرة من ذلك ما رواه الصحابي الجليل سيدنا أبو هريرة-رضي الله الله عنه-:أَنَّ رَسُولَ اللهِ- صل الله عليه وسلم-، قَالَ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

و بعـد:

قد عرفت الجزائر كغيرها من الدول الإسلامية نظام الوقف منذ القدم، خاصة في مناطق جنوبينا الكبير ،وإقليمُ توات – ولاية أدرار - وهو جزء من الصحراء الكبرى بالجزائر قد سار على نفس الخطى في إنشاء الأوقاف لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد ساكنيه، خدمة لنشر العلم، وإغاثة للمحتاج و ابن السبيل، بل وإلى تحقيق مصالح المجتمع في دروب الحياة ومناحيها المتعددة.

والزاوية البكرية هي إحدى القلع التواتية التي قامت بإنشاء الوقف لرعاية مصالح المجتمع المختلفة، بل أنشأت الزاوية البكرية أساسا لتحقيق هذا الغرض، خدمة للمحتاجين في إقليم توات، ونشراً لمبادئ التعاون التي حث عليها الإسلام، ولبحث هذا الموضوع بشيء من التفصيل نطرح الإشكالية التالية :

مامفهوم الوقف كمفهوم عام؟ ويجرنا هذا الإشكال العام إلى طرح الإشكاليات الفرعية التالية:

كيف نشأ الوقف بالزاوية البكرية وتأسس؟ وكيف تسير أملاك هذا الوقف ؟ وكيف يساهم هذا الوقف في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا ؟

وللإجابة عن الإشكالية الرئيسة وكذا إشكاليتها الفرعية ارتأينا دراستها وفق الخطة المبينة على النحو التالي:

تمهيد: حول ماهية الوقف وأهميته

<u>المبحث الأول</u>: نشأة الوقف بالزاوية البكرية

تمهيد: عن دور الزوايا بإقليم توات

المطلب الأول: تأسيس الوقف بالزاوية البكرية

المطلب الثاني: تسيير أملاك الوقف بالزاوية البكرية

المبحث الثاني: طرق مساهمة وقف الزاوية البكرية في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا

المطلب الأول: المساهمة الاقتصادية

المطلب الثاني: المساهمة الاجتماعية

خاتمـــة

1-تمهيد: حول ماهية الوقف وأهميته:

يعتبر الوقف من المشاريع الخيرية المشتركة بين بني الإنسان، ومن المعروف الذي اعتنى الإسلام بنشره وترقيته وحث المؤمنين على العناية به، وتتبادر إلى الذهن الإشكالية التالية:

ما هو مفهوم الوقف؟ وما أهميته في حياة الناس؟

1.1- مفهـــوم الوقف:

- لغـــة:

عرف علماء اللغة الوقف بأنه: مصدر يراد به اسم المفعول، يعنون به الشيء الموقوف، فالوقف هو: الحبس والمنع، يقال: (وقَّف الأرضَ للمساكين وقفاً، أي حبسها)، وتحبيس الشيء أن يبقى أصله ممنوعا من البيع وغيره مما ينقل به الملك، و يجعل ثمرته أو ريعه في سبيل الله[2]، و بذلك المعنى جاء الحديث، فقد ورد أنَّ سيدنا عُمَرَ بنَ الخَطَّاب - τ- مَلَكَ مَائةَ سَهْم مِنْ خيْبَر اشتراها فأَتَي رسولِ اللَّه- ρ- فَقَالَ يَا رسُولُ اللَّهِ: إنّي أَصَبْتُ مَالاً لَمْ أُصِبْ مِثْلَهُ قطُّ وَقَدْ أَرَدْتُ أنْ أتَقَرَّبَ بِه إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَقالَ: «حَبِّس الأَصْلَ وَسَبِّلَ الثَّمَرَةَ»[3].

- اصطلاحـاً:

عرف الفقهاء الوقف بتعاريف عديدة حسب نظر كل مذهب، سأقتصر على تعريف المالكية؛ لأنه المذهب المتبع في بلادنا، عرفه ابن عرفة[4] بقوله:

(الوقف- مصدرا-: إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا)[5].

2.1- أهميـــة الوقف:

للوقف أهمية كبيرة في الحياة، ولأجل ذلك رغب فيه الرسول –صلي الله عليه وسلم- في أحاديث كثيرة منها:

- ما جاء في حديث ابن عمر -: ((أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ- ﷺ- يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى

وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ)) وفي رواية ((غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا)) [6].

إن الوقف من أهم أنواع البر يقصد به التقرب إلى الله عز وجل والإحسان إلى المحتاجين والتعاون على البر والتقوى، وإذا كان الناس مسلطين على أموالهم فلا حرج في إنفاق تلك الأموال فيما يحقق أغراضاً دينية أو اجتماعية أو اقتصادية في إطار النفع العام، ويمكن أن نعرض أغراض الوقف فيما يلي للتذكير لا للبيان والاستقصاء.

3.1-أغراض الوقف: تتنوع أغراض الوقف بحسب تعدد أوجه البر، ويمكن ذكر أهمها، والتي تتمثل في:

1- نشر الدعوة الإسلامية: ومن أهم مظاهر هذا الغرض وقف المساجد التي كانت عبر التاريخ منارات لنشر الدعوة وتعليم الناس وتربيتهم وتهذيبهم، وما ألحق بها من أوقاف للإنفاق عليها وعلى القائمين على شؤونها كالدكاكين والضيع والمساكن وغير ذلك.

ولازال لهذا الغرض أهميته، فإضافة إلى المساجد فهناك العديد من الزوايا والمدارس القرآنية المجاورة لها التي تسعى في نشر التعليم القرآني والدعوة لدين الله تعتمد في تحقيق نشاطها على الأوقاف.

2- الرعاية الاجتماعية: لقد اهتم المسلمون بالرعاية الاجتماعية من خلال صلة الأرحام بالإنفاق على القرابة، وكذا رعاية الأيتام وأبناء السبيل وذوي العاهات من خلال الأوقاف الخيرية التي يخصصها الواقفون لمثل هذه الأغراض، وأوقاف الآبار والعيون في الطرقات والأماكن العامة للسقي والشرب، وقد كان سيدنا عثمان بن عفان- τ- من السباقين لهذا الشأن فقد اشترى بئر رومة في المدينة المنورة ووقفها في سبيل الله[7].

و ما هو موجود من الأوقاف الخيرية المسماة بالزوايا في بلادنا هنا وهناك لأكبر شاهد على ذلك،إن الأوقاف قامت بدور مهم في التآزر والتكافل الاجتماعي، فقد حبس الواقفون كثيرا من ممتلكاتهم في سبيل تحقيق التكفل بالفقراء والمساكين والأيتام والمحرومين، ولازالت بقية منها إلى يومنا هذا تؤدي بعض الشيء من تلك الخدمات الاجتماعية، وتحتاج إلى تطوير وإنعاش.

3- الرعاية الصحية: يعد هذا الغرض من أوسع المجالات التي وقف المحبسون أملاكهم عليها قديما، وشملت أنواعا كثيرة مثل بناء (البيمارستانات)[8]، والبحث العلمي المرتبط بالمجالات الطبية، كالكيمياء والصيدلة[9].

4- مجال التعليم: التعليم أشهر من أن يخصص له بعض الأسطر لبيانه، فيكفي المدارس الوقفية المنتشرة في سائر أنحاء العالم الإسلامي وعلى رأسها تلك المساجد والجوامع التي أضحت منارات للعلم وفي مقدمتها الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، والأزهر الشريف في مصر، والقرويين في المغرب والزيتونة في تونس، والأمويين في دمشق. ناهيك عن المكتبات والمعاهد التي لا يمكن عدها أو حصرها في هذه العجالة.

5- رعاية حفظ الأمن: عرفت الأمة الإسلامية الوقف لأجل حفظ أمن الأمة والدفاع عنها، فقد كان سيدنا خالد بن الوليد من السباقين لذلك، فقد أوقف درعه وعتاده الحربي في سبيل الله. فقد أخرج البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري: عن أبي هريرة قَالَ: أَمَرَ[10] رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- بِالصَّدَقَةِ، فَقِيلَ مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ-: « مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ-ρ- فَهِيَ عَلَيْهِ[11] صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا»[12]. وقد سار على هذا النهج الصحابة الكرام والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء والحكام وذوي اليسار في الأمة فوقفوا الأموال على سد الثغور والحفاظ على حرمة ديار المسلمين[13]

2.المبحث الأول: نشأة الوقف وتأسيسه بالزاوية البكرية:

تمهيد: عن دور زوايا إقليم توات:

إن إقليم توات من أوسع الأقاليم الوطنية مساحة، فهو مترامي الأطراف، شاسع الأرجاء، يقع في الجنوب الغربي من أرض الجزائر، و هو جزء من الصحراء الكبرى ، يقع بين خطي طول 4° غربا إلى 1° شرقا و بين خطي عرض 26° إلى 30° شمالا، يتربع على مساحة تصل إلى: (427963كلم2)[14]، يضم ثلاث مقاطعات هي: تينجورارين[15] (قورارة) وتوات الوسطى[16]، وتيدكلت [17]، و قد تميز إقليم توات بمقاطعاته الثلاث بكثرة الزوايا والمدارس القرآنية، و إليها يرجع الفضل في نشر الوعي الفكري والثقافي الأصيل، المستمد من روح الحضارة الإسلامية، قد أنجبت تلك الزوايا والمدارس القرآنية للأمة أعلاما أجلاء تركوا بصماتهم في شتى مناح الحضارة، فحفظوا للأمة أصالتها ووحدتها المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية و وحدة التراب، و من بين هذه الزوايا الزاوية البكرية التي هي محل كلمتي في هذه المداخلة.

2. 1-تعريف الزاوية لغة واصطلاحا:

أ- مفهوم الزاوية لغة:

الزاوية مفرد يجمع على زوايا من زوى يزوي بمعنى جمع، والزاوية من البَيْتِ: رُكْنُه، فاعِلَةٌ من (زَوَى) يَزْوِي إذا جمع لأنَّها جَمَعَتْ قطرا مِنْهُ[18].وَفِي الحدِيثِ: « زُوِيَتْ لِي الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[19].

ب- مفهوم الزاوية اصطلاحا:

أطلقت الزاوية في مبدئ الأمر على الدير وصوامع الرهبان، ثم أطلقت و أريد بها مأوى العباد والفقراء والصوفية وطلاب العلم، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر، وهو اسم لموضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج بن يوسف و عبد الرحمن بن الأشعث ، وعلى بلد بالموصل، و قرية قرب المدينة المنورة بها قصر أنس بن مالك، وقرية بالأندلس، كما سميت باسم الزاوية مدينة بالجماهرية الليبية قرب مدينة أطرابلس[20]، ويطلق اسم الزاوية عندنا بتوات على عدة مدن[21]، ثم تطور مفهوم الزاوية من أماكن للتعبد والخلوة، إلى مؤسسة علمية قائمة بذاتها تستقبل طلاب العلم فتقوم بتحفيظ القرآن وتدريس العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير و توحيد، والعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، وإضافة إلى ذلك توفر للطلاب الوافدين الإقامة و الوجبات الغذائية مجانا، كما يجد فيها الزوار وعابر السبيل الإقامة المريحة وراحة البال[22].

و إلى المعاني السابقة الذكر يشير العلامة الشيخ محمد بلعالم باي - رحمه الله - فيقول:

أما الزوايا فهي ركن يبنى كدير أو صومعة في المبنى
و في شمال القارة السمراء ينمى لما خص بالأولياء
و قيل اسم لبناء قد جمع مدرسة وغرف لها تبع
فيجد الطالب فيها مأوى و هي للضيوف أيضا مأوى[23]

2.2-المطلب الأول: تأسيس الوقف بالزواية البكرية:

الزاوية البكرية هي: تلك الأوقاف الخيرية التي أنشأها العلامة الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الكريم التمنطيطي وأبناءه في إقليم توات لأجل نشر العلم وإيصال النفع والمواساة للفقراء والمعوزين وابن السبيل.

شرع الشيخ سيدي محمد البكري في شراء الأراضي التي أصبحت وقفا في أول شهر ربيع الثاني عام (1110هـ)، وبعد ما انتهى من الشراء أوقف ذلك وحبسه بوثيقة تشهد على ذلك ونصها:

كتبت بيدي و أشهدت على نفسي جبريل و ميكائيل وإسرافيل وعزرائل ومؤمني الثقلين، أني حبست في سبيل الله ما ثبت لي ملكه بأرض تزداية التي بين تمي وتمنطيط بتحديدها المعلوم من الجوانب الأربعة حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا تباع ولا توهب و لا تورث في الفقراء والمساكين والقرى وفك الرقاب و في سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويؤكل صديقا له، غير متموّل ولا و لا متأثل مالا، أشهد الله على ذلك وهو أكبر الشاهدين، وكُتِبَ بخط يدي الفانية لتسع بقين من رمضان عام (1112ه)، محمد البكري بن عبد الكريم[24].

2. 3-المطلب الثاني: إدارة وتسيير وقف الزاوية البكرية:

تولى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الكريم إدارة شؤون الزاوية البكرية بأمر من أبيه و بمشورة من شيخه الشيخ سيدي علي بن حنيني الزجلاوي، فبنى بها مسكن أسرته واستدعى شيخه الشيخ سيدي علي بن حنيني[25] لتدشين أول بناء بها تبركا، فوضع الشيخ اللبنة الأولى وقال: اسم هذه الزاوية (محبوبة) فاستوطن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد البكري الزاوية البكرية عام (1117ه) وبدأ في عمارتها وغرس النخيل بها ونحت فقاقيرها حتى صارت عامرة مثمرة،[26] وهكذا اسمرت إدارتها في ذريته إلى اليوم.

3.المبحث الثاني: طرق مساهمة وقف الزاوية البكرية في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا

عرفت الزاوية البكرية منذ تأسيسها بتنوع نشاطاتها العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وكان مؤسسها الأول الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الكريم التمنطيطي –رحمه الله- دعا لها بالبركة عند ما أتاه ولده الشيخ سيدي محمد بعدق تمر من أول باكورة أطلعت من عامها مستبشرا بذلك فقال الشيخ سيدي محمد البكري -رحمه الله-: (اللهم لك الحمد كل هذا من بركة رسول الله-ρ- اللهم بارك في صاعها –ثلاث مرات –اللهم اجعله بلدا آمنا مؤمنا، وأخمد فيه نار الفتن والشقاق، وأغمد به سيف الضلال والنفاق، واجعل سكانه للخير سابقون وارزقهم من حيث لا يحتسبون)، فأمن الحاضرون على دعائه[27].

3. 1-المطلب الأول: التنمية الاقتصادية:

قد عرفت الزاوية البكرية تنوعا اقتصاديا و كانت مصدر رزق ومأوى لكثير من الناس الوافدين، وكانت أغلب سبل اقتصادها في الاستثمار الفلاحي، لأن أكثر أوقاف الزاوية أراضي زراعية، ويتمثل الواقع الاقتصادي بالزاوية البكرية في التالي:

1- توفير فرص العمل:

قد وفرت الزاوية البكرية كثيرا من فرص العمل في جوانب التنمية الفلاحية ، خصوصا في حقبة الاحتلال الفرنسي، حيث كانت لا توجد بتوات مشاريع أخرى فكانت الزاوية بحاجة لليد العاملة في الفلاحة و التنقيب عن

منابع المياه المعروفة (بالفقاقير) فوجد كثير من الضعفاء فرص العيش بها، بل والمعاملة الحسنة مما رغبهم بالمكث بها.

2- توفير السكـــن:

السكن مشكلة اجتماعية واقتصادية في كل وقت وزمان، تحتاج إلى تفكير عميق من أهل الحل والعقد، بل ومن المخلصين، فكانت الزاوية البكرية من بين الأوقاف التي فكر أهلها ومسيروها في قضية السكن، فكانوا يمنحون الراغبين في العمل فيها السكن لهم ولأسرهم، فكانوا في بداية الأمر يكرون لهم السكن بقيمة رمزية تتمثل في زبل الحيوانات ليكون أسمدة للحرث، فأقبل كثير من الناس الضعفاء إليها واختاروا الاستيطان بها، حتى أصبح اليوم أكثر من ثلثي القاطنين بها من الوافدين، ثم تطور الحال وأصبح القاطنون بها يمنحون قطعا أرضية لبناء مساكنهم من غير بيع ولا كراء، بشرط ألا يبيعون ما منحوا ولا يكرونه، وبذلك كبرت القرية وكثر سكانها بعد أن كانت عائلة واحدة.

3. 2-المطلب الثاني: التنمية الاجتماعية:

قد عرفت الزاوية البكرية بالقيام بدورها الاجتماعي في ربوع توات، والأصل الذي أنشأت لأجله الزاوية البكرية هي خدمة المجتمع بشتى أشكالها كما جاء في رسم التحبيس ويتمثل الواقع الاجتماعي للزاوية البكرية في المشاريع التالية:

أ- المجال التعليمي:

إن الأصل الأول للزاوية البكرية كغيرها من زوايا – إقليم توات- هو السعي في خدمة الدين الإسلامي و نشره بين الناس، فكان التعليم القرآني وعلوم الشريعة هو السبيل الأكبر لنشر الإسلام وتحقيق استمراره وبقائه في ربوع أمتنا، فكانت الزاوية البكرية من بين الزوايا التي جعلت من أولوياتها فتح مدارس للتعليم القرآني وعلوم الشريعة بحسب إمكانياتها الخاصة، وتمثل هذا التعليم في جانبين اثنين:

1- الكتاتيب القرآنية:

والكتاتيب جمع كتَّاب وهو: محل تعليم الصبيان القرآن الكريم[28]، وهي تخصص غالبا لأبناء القرية، وتكون الكتاتيب متصلة بالمساجد يتعلم فيها الأطفال القرآن ومبادئ العلوم الشرعية.

2- المدارس القرآنية أو الزوايا:

أنشأت الزاوية البكرية مدارس قرآنية عدة حسب مختلف الأزمنة، بدأً بعصر الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الكريم فقد أنشأ مدرسة قرآنية يدرس فيها القرآن وعلوم الشريعة واللغة العربية، بمدينة تمنطيط، وفد إليها طلب العلم من أصقاع إقليم توات، وبعد وفاته سنة (1133ه) تولى ابنه الشيخ سيدي عبد الكريم - وهو أصغر أبنائه- القضاء والتدريس من بعده.

أما الزاوية البكرية الأم فقد أنشأ فيها مدرسة قرآنية علامة عصره الفقيه الشيخ سيدي الحسن بن سعيد بن عبد الكريم بن الشيخ سيدي محمد، تخرج على يديه ثلة من الأعلام منهم:

ـ ولده الشيخ الفقيه الفرضي سيدي محمد، رحل إلى مدينة غرداية فكان يدرس بها القرآن وعلوم الشريعة توفي بها سنة (1286هـ/1869م).

-و القاضي سيدي محمد بن عبد الرحمن التينيلاني، وهو ابن أخت الشيخ سيدي لحسن بن سعيد تولى القضاء بمدينة البيض وتوفي بها.

-العلامة سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن التينلاني، وهو ابن أخت الشيخ سيدي لحسن بن سعيد وخليفته بالزاوية البكرية، وهو أحد أعلامها البارزين ولد في أواخر القرن الثاني عشر الهجري سنة (1260هـ/1844م) بالزاوية البكرية، وتوفي بها عام (1339هـ/1920مـ

الشيخ سيدي أحمد بن البكري- و هو ابن أخت الشيخ سيدي لحسن بن سعيد-، توفي بصحراء متليلي.

وغيرهم من طلبة العلم، ولما توفي الشيخ سيدي لحسن- رحمه الله- سنة (1286هـ/1896م) تولى الخلافة من بعده تلميذه – وهو ابن أخته- العلامة الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن التنلاني مكانه إلا أن توفي سنة (1339هـ/1920م)، وتوالت المدارس القرآنية بالزاوية البكرية جيلا بعد جيل إلى يوم الناس، وكل هذا بفضل الله وحسن عونه، له الحمد والشكر على فضله وتوفيقه، ولا حول ولا قوة إلا به.

ب- إكرام الضيف وابن السبيل:

دأبت الزاوية البكرية منذ تأسيسها وتولى أمر تسييرها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد البكري على الكرم والفرح والسرور بالضيوف وعابري السبيل، توارث ذلك الأبناء من الآباء جيلا بعد جيل، وقد عرف الشيخ سيدي محمد بن سيدي محمد البكري –رحمه الله- بغزارة الجود والكرم حتى قيل عنه أن (... عيده يوم نزول الأضياف، وفرحه ومرحه التكرم على الوفود من الأرياف، وحزنه يوم لا يقدم فيه نزيل، فيظل يبكي بزفير وعويل، ويقول: يا رب أي عمل أوجب لي هذا الشؤم الوبيل)[29].

وهكذا استمر الإكرام والقيام بواجب الضيافة بالزاوية البكرية إلى اليوم.

ج- الصلح بين النـــاس:

عرفت العائلة البكرية من بين العائلات التواتية بالمكانة العلمية والاجتماعية فقد تولى بعض أفرادها منصب القضاء ومسؤولية الإصلاح بين الناس، فقد كانت الزاوية البكرية مقصد الكثير من الناس بتوات لحل المنازعات والإصلاح بين المتخاصمين، فكان أهلها يعدون العدَّة لإكرام الوافدين و إرضاء المتضررين.

وتذكر المصادر التاريخية لتوات أن القضاة البكريين كانوا يراعون في مجالس القضاء بين المتنازعين فيرجحون الحكم بالصلح والتراضي على غيره من أحكام القضاء بين أهل توات، وذلك لضعفهم وفاقتهم في ذلك الوقت، وقد كان القاضي سيدي عبد الكريم بن الشيخ سيدي محمد البكري يأخذ من ماله ليرضي المظلوم ثم يقول له اعف عن الباقي[30].

د- الاهتمام بالمناسبات الاجتماعية:

جعلت الزاوية البكرية من مهامها الأساسية الرعاية والتكفل بالمناسبات الاجتماعية، فتحي هذه المناسبات وتشجع على استمرارها لتقوية روابط المجتمع اذكر بعضا منها وهي:

1- الأعـــــــراس: فتشارك المتزوجين في أفراحهم، وتعين في تكاليف مؤن الأعراس والتخفيف من أعبائه، وتسعى في إحياء الأعراس الجماعية.

2- احتفال ختم القرآن: للزاوية البكرية مساهمة في احتفالات ختم القرآن تكريما لحفظة القرآن وتشجيعا للطلبة على حفظ كتاب الله الكريم.

3- احتفال المولد النبوي: بمناسبة المولد النبوي الشريف يبدأ المؤمنون في المساجد والزوايا بقراءة المدائح النبوية، وتقوم الزاوية البكرية بإعداد الطعام والشاي للقاطنين بها احتفاءً واحتفالا بالمناسبة الشريفة.

هذه بعض المناسبات ذكرتها بإيجاز خوف الإطالة ، فالمقام لا يتحمل أكثر من ذلك.

4.خاتمـــــــة:

من خلال ما مرَّ من عرض عن الوقف وأهميته، ندرك أن للوقف أهمية كبرى في حياة المجتمعات، وأنه ينبغي العناية به والتشجيع على إحياء سنة الوقف التي مبدأ من المبادئ الأساسية في حياة سالف الأمة الإسلامية، والأمة اليوم في حاجة إلى بعث مشروعات الوقف من جديد بتطوير ما هو موجود منها، بتكيفه مع تطورات العصر، حتى يكون رافدا من روافد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والسعي في إنشاء أوقاف جديدة تسد الثغور وتلبي حاجات المجتمع ومتطلبات المختلفة، في مجالات شتى متنوعة.

فأسأل الله أن تجد هذه الكلمات آذانا صاغية وقلوبا واعية تلبي وتجيب، وأسأل الله الهداية والتوفيق، فهو نعم المسئول ونعم المجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

5.المراجع

[1] – الإمام مسلم: صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب (الوصية)، باب (ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، حديث (1631)،1255/3. وفي سنن الترمذي: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَه ُ» حديث (1376)، 652/3.

2 – الفيروز آبادى، القاموس المحيط: تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،ط: الثامنة، 1426هـ/ 2005م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، باب (الفاء)، فصل (الواو) ،860/1. بن عبد الله القنوي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم تحقيق: د/ يحيى مراد، ط/الأولى:1424هـ/2004م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص: 70. الأزهري، تهذيب اللغة: تحقيق: محمد عوض مرعب،ط/ الأولى: 2001م،دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،باب(القاف والفاء)،251/9. ابن منظور، لسان العرب: ط/الثالثة: 1414هـ، دار الفكر، بيروت – لبنان، حرف (الفاء)، فصل (الواو)،1160/3.

[3] – الإمام الشافعي، مسند الإمام الشافعي: رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تحقيق: يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني ،ط/1370هـ/1951م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، كتاب (الوقف)، حديث (457) ،138/2.

[4] – هو الإمام العلامة الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، إمام تونس وعالمها وخطيبها وصاحب الفتوى بها في عصره، ولد بها سنة (716هـ/1316م). أخذ عن علماء أجلاء، وتخرج على يديه= جماعة من الأعلام، ترك مؤلفات كثيرة مذكورة في مظان ترجمته، توفي سنة (803هـ/1400م). ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنَّان، ط/ الأولى :1417هـ/1996م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ترجمة رقم (585)، ص:419.

[5] شرح حدود ابن عرفة، الرصاع : تحقيق: محمد أبو الأجفان – الطاهر المعموري، ط/الأولى:1993م دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 539/2.

[6] – الإمام البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،ط/ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة 1286هـ، كتاب (الشروط)، باب (الشروط في الوقف)، حديث (2737)،198/3.

[7]– طارق بن عبد الله حجار: تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، ط/ العدد: 120، 1423هـ /2003م ، ص: 472. د/ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، ط/ الأولى: 1423هـ/ 2002م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ص:42 المكتبة الشاملة.

[8] –كلمة فارسية معناها المستشفى وهي أماكن للعلاج ودراسة الطب للمسلمين. طارق بن عبد الله حجار: المرجع السابق، ص: 478.

[9] – المرجع نفسه.

10– في رواية مسلم:« بَعَثَ رَسُولُ اللهِ– ρ– عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ». صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث (983)، 676/2.

[11]– وعند مسلم: «فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُهَا مَعَهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟» المصدر السابق.

[12] – الإمام البخاري، المصدر السابق، كتاب (الزكاة)، باب قول الله تعالى (وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله)، الحديث (1468)، 122/2. الإمام مسلم: المصدر السابق، كتاب (الزكاة)، باب (في تقديم الزكاة ومنعها)، حديث (983)، 676/2.

[13] – طارق بن عبد الله حجار: المرجع السابق، ص:472.

[14] – حاج أحمد الصديق :التاريخ الثقافي لإقليم توات ط/1 ، مدرية الثقافة ، أدرار،2003 ص31. أنظر أيضا: عبد الله بابا: الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112–1421 هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف أ. د: عبد الكريم بوصفصاف الجامعة الإفريقية أحمد دراية كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم التاريخ ص05 و د/ محمد الصالح حوتية توات= =والزواد دار الكتاب العربي للطباعة، النشر، التوزيع، والترجمة حي العناصر عمارة 309 رقم 03 القبة الجزائر ج28/1

[15]– هي منطقة تيميمون و ضواحيها وهي في الأصل كلمة بربرية بمعنى المعسكرات.

[16] – و تبدأ من قصور أتسابيت إلى رقان .

[17]– منطقة أولف وما جاورها وهي كلمة بربرية بمعنى كف اليد أو اليد المفتوح . عبد الله بابا: المرجع السابق ص:07.

[18] مرتضى الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، محقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، 227/38. انظر أيضا: صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها ، ط/ 2002م ، دار البراق . لبنان ، ص:301.

[19]– أبو عمر يوسف بن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 هـ ،141/15.

[20]- مرتضى الزَّبيدي ، مصدر سابق ، 38/227-228. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط، ص:408. المكتبة الشاملة ، صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص: 302. الزمخشري: أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج427/1. محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، المرادية ، الجزائر، ص:27.

[21]- منها زاوية الدباغ ، وزاوية سيدي الحاج بالقاسم ، و زاوية سيدي البكري ، و زاوية كنتة .

[22]- صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ، ص: 303.

[23]ـــ عبد الله بابا : المرجع سابق ، ص: 33.

[24]- الدرة البهية في الشجرة البكرية: محمد العالم بن محمد البكري بكراوي، مخطوط بخزانة البكرية تمنطيط أدرار. ص: 29.

[25] – الشيخ الفقيه سيدي علي بن حنيني الأنصاري الزجلاوي، لا يعرف تاريخ ولادته على وجه التحقيق، لكن ولد خلال القرن 11هـ/16م، ولد قبل سنة 1064هـ/1653م، وتوفي سنة: 1115هـ/1703م، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر: محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف البحبحي الجلفاوي، ط/الأولى: 1437هـ/ 2016م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان/ ص ص: 202-205.

[26]- الدرة البهية في الشجرة البكرية: المرجع السابق ص:29.

[27]- الدرة البهية في الشجرة البكرية: المرجع السابق ص:30.

[28]- ابن منظور، لسان العرب: تحقيق: جماعة من الأساتذة، ط/الثالثة: 1414هـ، دار صادر – بيروت، 699/1.

[29] – الكوكب الدرِّي في مناقب سيدي محمد البكري مخطوط بالخزانة البكرية تمنطيط – الجزائر، نقلا عن عبد بابا: المرجع السابق ص:87.

[30] – المرجع السابق: ص:88.